رجاء الصغير محمد من الشيخ محمد

خرج محمد، الذي يبلغ السادسة من العمر، من بيته في صباح ذلك اليوم في طريقه الى المدرسة. ودعته امه بدموعها وقبلاتها وتمنت، وهي تدعو له، ان يكون يومه الاول في المدرسة مملوءا بالسعادة. ركب محمد السيارة في المقعد الامامي مع والده وانطلقت بهما في طريقها الى المدرسة وقد تدلت حقيبته، التي ملأتها امه بمختلف انواع المأكولات، عن كتفيه بشكل جميل. وقف محمد على المقعد يراقب السيارات المارة بسرور بالغ، فهو قلما يخرج من البيت بسبب انشغال والده في عمله. من دون اية مقدمات، توقفت السيارة التي كانت امامهما بصورة مفاجئة لم يستطع معها والد محمد التوقف في الوقت المناسب فاصطدم بها، وما ان افاق من هول المفاجأة حتى سمع ارتطام رأس ابنه بزجاج السيارة الامامي حيث انه كان واقفا ولم يكن هناك ما يمكن ان يمنعه من الارتطام، وما ان مال عليه بهلع واضح ليحمله وقد عقد المنظر لسانه فاذا بسيارة اخرى تعاجله من الخلف وتصطدم به مما جعل جسده يلتصق بمقود السيارة!!! افاق من هول المفاجأة الثانية ونظر بألم شديد الى وجه ابنه الصغير والوحيد وقد تهشمت معالمه واختلطت ببعضها وغطت الدماء الغزيرة التي انفجرت من ذلك الوجه البريء جسده الصغير وغطت فرش السيارة الداخلي الابيض.

تسمّر الاب في مكانه للحظة قصيرة لا يعرف ماذا يفعل.. فقد انحشرت سيارته المحطمة كليا بين السيارتين، واستحال عليه ان يتحرك بوصة واحدة فخرج من السيارة يلطم وجهه كالثكلى ويبكي صغيره الملقى في السيارة من دون حراك طالبا النجدة من الآخرين.... حدث مثل هذا المشهد عشرات المرات خلال السنوات الماضية، واحتمال حدوثه وارد في كل يوم وفي كل لحظة، وسجلات المستشفيات خير دليل على ذلك، وما تشاهده كل يوم وفي كل شارع وطريق من اهمال في ترك عشرات الصغار وهم في عمر الورد وقوفا في المقاعد الامامية مع اهاليهم، او متعلقين بزجاج الابواب نصف المفتوحة ينظرون الى السيارات الاخرى او ملتصقين بأكتاف امهاتهم او آبائهم والسيارات منطلقة بالكثيرين منهم بسرعات متفاوتة في طريقهم من والى المدرسة او السوق، ومن دون اية احزمة امان او احتياطات معينة تجعل اجسادهم الصغيرة غير المحمية اهدافا ومشاريع سهلة لحوادث مرور تكون نتيجتها الموت الفوري او الاعاقة الدائمة في احسن الاحوال.

ان توجيه النصائح والتعليمات الى هؤلاء الآباء والامهات وقائدي المركبات والطلب منهم ضرورة اجبار هؤلاء الاطفال على البقاء في المقاعد الخلفية واستعمال احزمة الامان، والقيام بحملة توعية في وسائل الاعلام المختلفة سوف لن يجدي شيئا، فالجهل مستشر ولا يمكن بالتالي ترك عملية انقاذ حياة هؤلاء الابرياء وتوفير الحماية لهم، الى حين توفر الوعي والإلمام الكافيين لدى هولاء الآباء والامهات «الجهلة» بمخاطر السماح لفلذات اكبادهم بالبقاء في المقاعد الامامية.

وعليه يتطلب الامر تدخل القانون وبسرعة وحزم، كما حدث مع قانون احزمة الامان، حيث طنطنت وسائل الاعلام وصرخت ابواق الدعاية والاعلان ونتف رجال المرور شعورهم وهم يطالبون قائدي المركبات بضرورة وضع الاحزمة، ولم يجدوا احدا على استعداد لسماع نصائحهم او تلبية مطالبهم، وما ان اصبح ذلك الرجاء امرا، وتم فرض غرامة بسيطة على مخالفيه حتى اصبح الجميع وكأنهم من مواليد سويسرا!!!

لقد تأخرت الادارة العامة للمرور، او وزارة الداخلية بالاحرى، كثيرا في فرض حزام الامان في وقتها، وكان بالإمكان انقاذ عشرات الارواح لو تم فرض ذلك القانون قبل ذلك، ولكن بالرغم من ذلك لا يمكن انكار الجانب الايجابي والحضاري في هذا الامر وتوجيه تحية، ولو متأخرة، لهم. ما نطالب به هنا هو عدم تأخر الوزارة هذه المرة ايضا، وبضرورة تدخلها والنظر في اصدار قانون يمنع قائدي المركبات من ترك اطفال صغار، تحت سن معينة، في المقاعد الامامية من السيارات، واعتبار الامر مخالفة اشد واعظم من مسألة عدم ربط حزام الامان، حيث ان عدم وضع الحزام هو في حكم الانتحار ولذلك عقابه، اما التسبب في قتل نفس بريئة اخرى فهو في حكم الجريمة التي تخضع بالضرورة لعقاب اشد واقسى كل ما يتطلبه الامر في البداية، وقد يكون ذلك من صباح الغد (هل انا شديد التفاؤل؟)، هو الطلب من عشرات رجال الشرطة المسؤولين عن مراقبة حركة المرور في اوقات الذروة صباحا وظهرا وخاصة عند مداخل ومخارج المدارس التدخل وايقاف تلك السيارات التي تحمل اطفالا صغارا في المقاعد الامامية والطلب من ذويهم ضرورة ابقائهم في المقاعد الخلفية، وسيعترض البعض منهم وسيدعون بأن هذا شأنهم الخاص، وهنا نحتاج الى ان نقوم «بضرب» هذه الفئة على جيوبها، وأن تفرض الغرامة المالية، بأسرع ما يمكن، على المخالفين، حفاظا على ارواح هؤلاء الابرياء وعلى مال الدولة العام الذي سيهدر في توفير العلاج لمئات المرضى والمقعدين.

هذا رجاء حار لوزير الداخلية الشاب الشيخ محمد الخالد نطالبه فيه بأن يتدخل لينقذ الكثير من الارواح ويخفف العديد من الآلام ويمنع مئات المآسي والمصائب!!!

أحمد الصرّاف